



بعد هذا، أولاً يخطر في البال هذا السؤال: هل كانت الكتابة، دون المصوتات القصيرة، تفي بغرض التعبير ثم قصرت عنه؟ ولو كانت المصوتات قد تجانست بقدر تجانس الصوامت، هل كان يمكن أن يكتبوا بالمصوت دون الصامت؟ إذا كان الغرض الأساسي للكتابة هو تبادل الأفكار، وإذا كانت الكتابة عاجزة عن أداء هذا الدور، فلا بد أن تسقط أو أن تبقى في عتمة العدم. وما دامت قد كانت ولبت الحاجة إلى التماهم على ما هي عليه، فإن ذلك يعني أن الصوامت لها ميزة على المصوتات. نأخذ لفظة خطية قريبة الأجراس ومعطلة من المصوتات: سفر. خارج الجملة، يلتبس علينا لفظها بصورة محاكية لقصد كاتبها، لأن مفردات الجملة تؤثر على بعضها فتزيدها وضوحاً كما تؤثر عناصر كل بنية على بعضها فتزيدها وضوحاً. ولكن، خارج الجملة، أليس لـ «سفر» شخصية متميزة؟ أليست هي بنية مجد ذاتها؟ إلا نفهم منها شيئاً؟ ثلاثة أجراس مختلفة، مسطورة تبعاً: س ف ر، قد يردنا التصويت بها إلى التفسير أو إلى أصوات سَفَر، سِفْر... مما في مخزوننا الصوتلغوي. وهي في مختلف الأحوال تنضح بالمعاني العامة التي يجردها التفكير من فروعها وظروف استعمالها. وفي مقابل المادة الصامتية نعرض مادة مصوتية: سَفَر. ثم توحى هذه المادة بالنسبة لمن يجيدون عربية قريش؟ بالنسبة للقارئ الذي لا يهتم بأبنية